مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية
ISSN : 1112-993X E-issn :2710-8147
المجلد: 17 العدد:(02) - جويلية 2025 / ص71- ص86

تأثير التجنيد الإجباري للتونسيين خلال الحرب العالمية الثانية على نشر الوعي الوطني (1939-1945)

The impact of the conscription of Tunisians during World War II on the spread of national consciousness (1939-1945)

د. محمد زروقي[1]، مخبر الدراسات الحضارية و الفكرية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.
zerrouki1983m@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/05/25	تاريخ القبول: 2025/07/02	تاريخ النشر: 2025/07/31

الملخص:

كان للحرب العالمية الثانية تأثير مباشر على التونسيين لاعتبارات عديدة منها موقعها الاستراتيجي الهام ولكونها واقعة تحت الحماية الفرنسية أحد أطراف النزاع، هذه الأخيرة عملت على استغلال مواردها المادية والبشرية، من خلال تجنيدهم في الجيش الفرنسية والدفع بهم للجبهات المختلفة، فساهمت عملية تجنيد التونسيين في اختلاطهم بمختلف المجندين من المستعمرات الفرنسية في تبادل الأفكار الوطنية. واستغل مناضلو الحركة الوطنية التونسية الوضع الراهن للترويج لدعايتهم المعادية لتجنيد التونسيين في حرب لا تعنيهم، وعمل المجندون المتشبعون بالأفكار الوطنية على بث دعاية كان لها دور في نشر الوعي الوطني التحرري عند الجنود، مما خلق حالات فرار وتمرد ضد السياسة الفرنسية المنتهجة في ظل التمييز بين الجنود الفرنسيين التونسيين في الرتب والرواتب ومكان الخدمة .

.

كلمات مفتاحية: الحرب العالمية الثانية ، التجنيد الإجباري ، النضال الوطني ، الحزب الدستوري التونسي ، الحبيب بورقيبة.

Abstract:

The Second World War had a direct impact on Tunisians due to many considerations, including its important strategic location and the fact that it was under the protection of France, one of the parties to the conflict, which worked to exploit its material and human resources by recruiting them into the French army and pushing them to the various fronts, so the process of recruiting Tunisians contributed to the exchange of national ideas. The militants of the Tunisian national movement took advantage of the current situation to promote their propaganda against the recruitment of Tunisians in a war that does not concern them, and the recruits imbued with nationalist ideas worked to spread propaganda that had a role in spreading national liberation awareness among the soldiers, creating cases of desertion and rebellion against the French policy pursued in light of the discrimination between French and Tunisian soldiers in ranks, salaries, and place of service.

Keywords: World War II; conscription ;national struggle ;Tunisian Constitutional Party, Habib Bourguiba.

[1] المؤلف المرسل: زروقي محمد ، zerrouki1983m@gmail.com .

مقدمة:

شهدت أوروبا خلال النصف الأول من القرن العشرين صراعا حولها إلى مسرح لمعارك طاحنة، امتدت إلى المجال الجغرافي المحيط بها بالحوض الغربي للمتوسط ووصل صداه للجهة الجنوبية. فأثر تأثيرا مباشرا على منطقة المغرب العربي عموما و البلاد التونسية خاصة، التي كان مجالها الجغرافي ساحة لمعارك و ذلك لموقعها الاستراتيجي الهام ، مما جعله عرضة للتأثر بالتحولات الخارجية و أطماع النظام الفاشي الإيطالي بمساندة الحليف الألماني لفرض السيطرة عليها، وستعرف تونس خلال الفترة الممتدة ما بين 1939 إلى 1945 سيطرة كل من المحور و الحلفاء . بداية ببسط حكومة بيتان الموالية للألمان السيطرة على السلطة بعد سقوط باريس جوان 1940 و بعدها حكومة فرنسا الحرة التي بسطت نفوذها على تونس بعد الإنزال الأنجلوا امريكي في شمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942، و خلال المرحلتين سعت الحكومات الفرنسية المتعاقبة الى بث دعايتها، مسخرة مختلف الوسائل لجذب الشباب التونسي من أجل التجند في الجيش الفرنسي.

إن الهدف من البحث هو اطلاع المهتم بدراسة التاريخ التونسي على تأثير التجنيد الإجباري للشباب التونسي في الجيش الفرنسي خاصة خلال الحرب العالمية الثانية على الوعي الوطنية، وسنحاول التركيز على سرد الأحداث التاريخية و تحليلها حتى يتبين للقارئ الهدف المراد الوصول له على هذا الأساس نطرح الإشكالية التالية:

-ما مدى تأثير التجنيد الإجباري للتونسيين خلال فترة الحماية الفرنسية على نشر الوعي الوطني التحرري خلال الحرب العالمية الثانية؟

1. تطور عملية تجنيد التونسيين خلال فترة الحماية الفرنسية (1882- 1945):

أ- جذور عملية التجنيد الإجباري في تونس (1882-1920):

إن آداء الخدمة العسكرية من طرف التونسيين ليست مرتبطة باندلاع الحرب العالمية الثانية و الظاهرة الاستعمارية، بل تعود إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي سنة 1858 كلف الباي لجنة بوضع قانون للخدمة العسكرية ، اعلن عليه في 7 فيفري 1860. وكان القانون رغبة من الباي في استقلال الإيالة التونسية عن الإمبراطورية العثمانية.[1] و مع فرض الحماية على البلاد التونسية، اقترح الجنرال فورجيمول (Forgemol) قائد فرقة الحماية إستمرار العمل بقانون الخدمة العسكرية السابق مع تقليص مدة الخدمة بأربع سنوات .[2]

كان ذلك التزاما بمعاهدة باردو، التي نصت على احترام القوانين ، وقد مثل القانون أرضية ملائمة لتجنيد التونسيين القاطنين في الأرياف ، ورخصة جاهزة للتجنيد و اكتفت بإبقاء قانون 1860 كمرجع مع تغييره تدريجيا خدمة لمصالحها دون المساس بالمضمون ، فتتالت الأوامر العليا الهادفة لتوسيع التجنيد بداية بأمر 6 جوان 1883 (أحصاء السكان ما بين 18 و 32 سنة) ، أمر 08 /1886/06 (حددت مدة الخدمة بسنتين) ، أمر(1891/11/01)، أمر(1893/03/03) ، أمر (1894/10/14) ، أمر (1895/09/11)، و حدد أمر 1899/09/26 مدة الخدمة العسكرية ب 3 سنوات مع بقاء الجندي لمدة 7 سنوات في ذمة السلطة العسكرية .[3]

مع مطلع القرن العشرين تطورت عملية التجنيد من خلال إصدار عدة قوانين زادت من ضبط عملية التجنيد من خلال أمريات منها:

- أمرية 13 جوان 1911 التي حددت ظروف الخدمة العسكرية للرعايا التونسيين من أصل جزائري .
- أمر 10 افريل 1914 مكن من فتح التطور في صفوف الفيالق الفرنسية من 3 إلى 5 سنوات .[4]

- كما مكن أمر 19 جوان 1914 من شمل الطرابلسيين القادمين من ليبيا في إيطار عملية التجنيد بعد الاتفاق مع الإيطاليين.[5]

ما يمكن استنتاجه أن هذه المراسيم والقوانين التي أصدرتها سلطات الحماية مثلت خطوتا فعالة لتنظيم عملية تجنيد التونسيين خدمة لمصالحها، فبالتوازي كذلك مع اندلاع الحرب العالمية الأولى صدرت أوامر عسكرية عديدة شكلت وسيلة فعالة لتنظيم تجنيد التونسيين، فمن خلال أمر 09 /1914/08 وأمر 1914/09/12 حددت طريقة إيداع مطالب التعويض وأيام القرعة المدنية، و أجبر العساكر التونسيين الذين انتهت مدة خدمتهم على البقاء في الخدمة إلى غاية نهاية الحرب. [6]

ارتفع عدد المجندين التونسيين بداية من سنة 1912، حيث بلغ عددهم في نفس السنة 3600 مجندا تونسيا ويتزامن ذلك مع وقوع حدثين مهمين الأول السيطرة الإيطالية على ليبيا و فرض الحماية على المغرب الأقصى، شكلا الحدثين سببين مقنعين لزيادة عملية التجنيد في جميع المستعمرات الفرنسية سعيا لمجابهة المخاطر في جنوب تونس و تكوين كتائب عسكرية و أفواج مساعدة على فرض الحماية على المغرب .[7]

كما ساهمت الحرب العالمية الأولى في تزايد عدد المجندين، فقد بلغ عدد المجندين سنة 1914 (4212 مجندا) ، ويرجع ذلك إلى صدور مرسوم 14 أوت 1914 الذي مكن الشباب التونسي من الالتحاق بالجيش مدة الحرب شريطة عدم وجود سوابق قضائية ، و منح المرسوم عفوا على العسكريين التونسيين الفارين شريطة العودة لفرقهم العسكرية .[8] وفي أفريل 1915 بلغ المجندين التونسيين (26797 مجندا)، أرسل عدد منهم للمغرب الأقصى و تم توزيع البقية على الوحدات العسكرية مثل حرس الباي، و الفوجين الرابع و الثامن و أرسل البقية للجبهات الفرنسية.

ما يمكن استنتاجه أن مساهمة الإيالة التونسية في المجهود الحربي خلال الحرب العالمية الأولى كان فعالا، رغم تواضعها مقارنة مع بقية بلدان شمال إفريقيا (12 ٪ من المتطوعين) حيث بلغت المساهمة الجزائرية 254 ألف جندي والمغرب الأقصى 69 ألف مجند حسب ما ورد في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية. وقد فسر ذلك برغبة التونسيين في الهجرة كعمال بدل التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، أما بالنسبة لمقارنة عدد المجندين بالنسبة لعدد السكان فيمكن القول أن مساهمة التونسيين في الحرب كانت مرتفعة (3.9٪) مقارنة بالجزائر (3.5٪) و المغرب (1٪) ، و اعتبرته فرنسا نوعا من الولاء لها .[9]

ب- التجنيد خلال فترة ما بين الحربين العالميتين(1920-1939)

تواصلت عملية التجنيد في فترة ما بين الحربين فقد تم إرسال عدد كبير من الجنود التونسيين إلى المغرب الأقصى بين الفترة ما بين (1921-1925) للقضاء على ثورة الخطابي ، و توجيه عناصر أخرى للمشرق (سوريا) ما بين (1919 -1925) و المساهمة في إخماد بعض الحركات مثل انتفاضة الدروز(جويلية 1925) فقد بلغ عدد المجندين التونسيين سنة 1925 (4200 مجندا) و وصل إلى (7000 جندي). [10]

وتطورت عملية التجنيد خلال الثلاثينيات لتعرف تزايد في وتيرة التعبئة و الجدول التالي يوضح ذلك :

الجدول رقم (05) : تطور عملية التجنيد ما بين (1930-1939)[11]

السنة	عدد المجندين
1930	6000
1931	6000
1932	4353
1933	4864
1934	5481

1935	4864
1936	5639
1937	4551
1938	4128
1939	5746

المرجع: فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 232.

ما يمكن استقراءه من خلال الجدول أن عدد المجندين التونسيين خلال فترة الثلاثينيات عرف اضطرابا و انحصر بين (6000 مجند و 4128 مجند) ، تمت تعبئتهم لتوجيههم لمختلف الجبهات التي بها نزاعات في المستعمرات الفرنسية كالانتفاضات الشعبية ، و الحروب التي تخوضها فرنسا بالخارج ، كما أن عمليات التجنيد للتونسيين في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى ، جعلت الجيش الفرنسي يستغني عن تجنيد اعداد كبيرة من التونسيين وقد وجه جهوده للدفع بهم للعمل في المزارع و المصانع ، فقد بلغ عدد الجنود في أفريل 1939 بتونس(80200 جندي) منهم (24600 جندي فرنسي) و(55600 جندي) محلي تونسي ، وقد كان هدف فرنسا من رفع عدد المجندين التونسيين هو مجابهة الخطر الإيطالي القادم من الجنوب (ليبيا) . وارتبط التجنيد والحضور العسكري في تونس بتوزيع الجالية الإيطالية، ولتكوين نظام دفاعي موحد في جميع شمال إفريقيا و طبعا لن يكون ذلك إلى بدعم تجنيد الطاقة الشبانية المحلية، دفاعا على المستعمرات الفرنسية من الأطماع الإيطالية القادمة من ليبيا.[12]

فبسبب السياسة المنتهجة من طرف سلطات الحماية في ميدان التجنيد عمل الحزب الدستوري الحر على نشر دعايته ساهمت في تدني صورة الجيش الفرنسي، وبالطبع تفطنت مخابرات الجيش لها بعد تسرب بعض النسخ من الصحف الدستورية التي وزعت ببعض الدوائر في أكتوبر 1923، وأثناء حرب الريف بالمغرب الأقصى (1925) عارض أغلب الدستوريين تجنيد التونسيين لقتال إخوانهم، وساهموا بدعاية كان لها دور في الحد من رفض بعض المجندين المشاركة في قمع ثورة عبد الكريم الخطابي وفرار البعض منهم. وعبر عن ذلك رجاء الطاهر الحداد إلى محي الدين القليبي عضو اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر يوم 7 ماي 1925 أكد فيه أنه من واجب التونسيين رفض الخدمة في صفوف الجيش الفرنسي بالمغرب الأقصى.[13]

إن الرجاء المقدم من طرف الطاهر الحداد يوضح موقف الحزب الدستوري الحر ، فقد عمل الحزب على استغلال حرب الريف في انتقاد السياسة الفرنسية التميزية داخل الجيش الفرنسي، و التي كان لها تأثير على المجندين التونسيين ، وزادت الدعاية التونسية في الثلاثينيات خاصة بعد عملية النفي التي تعرض لها قادة السياسية بالجنوب (برج لوبوف- رمادة) ،[14] حيث لعب الشاذلي خير الله دورا من خلال جولاته الدعائية بالمنطقة العسكرية (الجنوب التونسي) في جانفي 1935 ،و التي أفرزت مظاهر العصيان كتمرد فرقة القومية بمدنين(مارس 1935) و عزوفهم عن الالتحاق بوحداتهم.[15]

اثار النشاط الدستوري مخاوف الإدارة الفرنسية فقد صرح الضابط (لافون) :" ... لقد انتشرت الدعاية الدستورية داخل المنطقة العسكرية في الجنوب التونسي بشكل سري ... إنها ترمي لتحطيم مرتكزات سلطتنا ". من خلال تصريح الضابط يتبين حجم الدعاية التي مارسها الحزب الدستوري في المنطقة الجنوبية وتأثيره الكبير على السكان والمجندين في الجيش الفرنسي، مما شكل خطرا على التواجد الفرنسي في المنطقة.[16]

بالتوازي مع النشاط الدستوري في الجنوب التونسي شهدت المناطق الريفية بالشمال الغربي تكوين خلايا للحزب الدستوري، ففي سنة 1936 تكونت ثلاث شعب في كل من طبرقة وعين الدراهم و فرنانة ،[17] و تمكن بعض المناضلين في الحزب الدستوري الجديد أمثال عيسى الصخري من عقد اجتماع بالمنطقة يوم 27 مارس 1938 بسوق الأربعاء شجع فيه السكان على العصيان المدني و عدن الانخراط في الجيش الفرنسي ، وعقد كل من يوسف الرويسي و سليمان بن سليمان اجتماعا بفرنانة يوم 03 أفريل 1938 .[18]

عموما نستنتج أن دعاية الدستوريين ضد التجنيد شكلت وسيلة في تحريض العديد من التونسيين ضد عملية التجنيد و التطوع في صفوف الجيش الفرنسي ، فامتنع العديد منهم عن الالتحاق بالجيش و فرار البعض الآخر ، مما اثر على عملية التجنيد و ساهم في تغيير فرنسا لسياستها تجاه المجندين التونسيين من خلال إقرارها لعلاوات تحفيزية و مجابهتها لأحداث أفريل 1938 بكل وحشية و اعتقالها للقيادات التونسية المروجة للدعاية المحرضة للتجنيد .

أما موقف الأهالي التونسيين ظهر متباينا من عملية التجنيد نظر لنقص وعيهم و غياب تأطير سياسي شامل خاصة فترة العشرينيات، وقد ظهر موقفين: الأول عبر عن ولائه لفرنسا و جيشها أثناء الحرب العالمية الأولى حيث تذكر جريدة الزهراء:" إن اكتتاب إعانة الجرحى بالمال و العروض لا تزال تتوارد، فقد تبرع الأهالي على اختلاف درجاتهم من أغنياء و متوسطين و حتى فقراء الفلاحين منهم بالإعانة و لولا جذب هذه السنة لبلغت أموال الإعانة مبالغ عظيمة . إن عموم التونسيين على اختلاف طبقاتهم يشعرون بالرابطة المتينة التي تربط حظهم بحظ فرنسا ولذلك فهم يتمنون لهم من صميم الفؤاد نصرا باهرا وفوزا نهائيا ".[19]

لكن الموقف الثاني فقد عبر عن الموقف المعارض للحضور العسكري ورفضه لمشاركة التونسيين في حروبها من خلال عدم مناسبات منها هجرة قبائل اقصى الجنوب إلى طرابلس والانضمام لحركة المقاومة، بالإضافة لتنامي ظاهرة فرار التونسيين من التجنيد، و رفضهم الالتحاق بالجيش الفرنسي .

وقد مثل الموقف الأول العائلات الميسورة (التجار) و التي تناسب موقفها مع القياد و مشايخ الزوايا ، لما يربطهم معهم من علاقات اجتماعية و مصلحية ، أما الموقف الثاني فتأثر بدعاية الجامعة الإسلامية و فكرة الجهاد ضد القوى الأجنبية المسيطرة على البلاد و مثله اسر الأهالي الفقيرة المناهضة للحماية الفرنسية على البلاد ، و مع زيادة الوعي و سط الأهالي أصبحوا يعتبرون الالتحاق بالجيش التابع للباي أو قوات الحماية الفرنسية ، أمرا لا يصب في مصالحهم بل دخيلا يهدف لحماية المشاريع الاستعمارية و فرض الهيمنة . [20]

هذا و قد تعرضت البلاد التونسية لموجة من الدعاية الفاشية و النازية خاصة خلال فترة الثلاثينيات مع ظهور بوادر الحرب العالمية الثانية من خلال تسخير مختلف الوسائل كمحطة راديو باري ، وإنشاء العديد من المراكز الدعائية في كل من بنزرت و باجة و طبرق و سوسة و المنستير ، وركزت الدعاية الفاشية على علاقتها بالعرب المسلمين و سعيها لمساعدتهم من أجل القضاء على السيطرة الفرنسية ، كما أشادت بالجيش الإيطالي و قوته و ضعف الجيش الفرنسي و ممارساته التمييزية ضد المجندين التونسيين ، و لضمان نجاح دعايتها ركزت على استعمال آيات من القرآن الكريم .[21]

مهم يكن من أمر فإن هدف إيطاليا و ألمانيا من دعايتها المستهدفة لفئة الشباب في تونس هي التحريض ضد التحاق التونسيين بالجيش الفرنسي ، و تجلت في عدة صور منها التحريض على التمرد و العصيان ، و تغيير صورة فرنسا تلك الدولة القوية في نظر الأهالي إلى دولة ضعيفة يمكن هزيمتها حتى تصعب عليها عملية التجنيد بالنسبة للجيش الفرنسي .[22]

ما يمكن استنتاجه أن سياسة التجنيد التي قامت بها سلطات الحماية الفرنسية في فترة ما بين الحربين كانت فعالة لأقصى حد رغم الدعاية المعارضة له من طرف قادة الحركة الوطنية التونسية (الدستوريين) و المحور وتعداد المجندين المقدم في الجدول يبرهن على ذلك ، و قد ساهمت الظروف الاقتصادية و الاجتماعية ، و القوانين المفروضة على الشباب التونسي في التقليل من تأثير العوامل المذكورة سابقا على عملية التجنيد ، و ساهم المجند التونسي في العديد من المعارك التي خاضتها قوات الحماية الفرنسية .

ج- المجندون التونسيون خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)

عرفت تونس خلال هذه المرحلة وجود تهديدات إيطالية في الجنوب و ذلك رغم توقيع اتفاقية (سان ريمو) 14 /1939/09 مع الحكومة الفرنسية لضمان حياد الجانب الإيطالي، فكثفت فرنسا من تواجدها العسكري في تونس و قسمت البلاد لجهتين الجهة الشمالية بقيادة الجنرال بسيار(Bessiére) و جهة الجنوب بقيادة الجنرال بوبينال (poupinel) و زادت من عدد الفرق العسكرية على خط مارث على الحدود الليبية الخطرة ، ساهم هذا الخطر القادم من الجنوب و ظروف الحرب العالمية الثانية في الرفع من عدد المجندين التونسيين .[23]

وفرت تونس خلال الحرب العالمية الثانية 5 أفواج عسكرية، و تمثل في مساهمة الفوج الرابع (للتيرايور) أثناء الحملة العسكرية على تونس ، وخاض الجنود التونسيون عديد المعارك ضد جيش(**رومل**) ، منها معركة (البلفدير) و قد نوه الجنرال (جوان) بدور العسكريين التونسيين في المعركة قائلا : " لا يمكن أن نقدر مجهود الفوج الرابع للتيرايور التونسيين بأي ثمن أثناء معركة البلفدير " و قال الجنرال (دي غول) :" لا يمكن ان تنسى فرنسا المجهود الذي بذله التونسيون أثناء الحرب الطويلة " . و ساهمت الظروف المعيشية الصعبة للشباب التونسي في التحاقهم بالتجنيد إلى جانب فرنسا هربا من الفقر والحرمان، و سعيا لتحسين ظروفهم المعيشية في ظل ظروف الحرب و ندرة مناصب الشغل.[24]

فقد ذكر حامد تواتي في كتابه(Immigration Maghrébine et activités politiques en France de la 1ére G.M a la veille de fronts populaire) :" لا أعتقد أن مشاركة التونسيين في الحرب لجانب الحلفاء تفسر بتضحيات في سبيل الديمقراطية و الحرية ، لكون التونسيين يجهلون معاني هذه الشعارات ، رغم ما سلط على البلاد من مخططات دعائية و دعايات مضادة . وما يثبت ذلك عدم وجود حماس من طرف الشباب للتجنيد إلى إذا اقتضت الظروف الاجتماعية ذلك، فقد سعي أغلب التونسيين للالتحاق بصفوف العمال تجنبا للمخاطر. مما دفع السلطات الفرنسية للرفع من التعويضات والمنح فمن 1000 فرنك سنة 1914 إلى 2000 فرنك سنة 1944 "[25]

تطور عدد المجندين التونسيين من بداية الحرب العالمية الثانية إلى نهايتها على النحو التالي :

الجدول رقم (06) : تطور عدد المجندين التونسيين خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)

السنة	عدد المجندين
1939	5746
1940	حوالي 15 ألف
1941	//
1942	//
1943	//
1944	2000
1945	//

المرجع : فتحي العايدي ، مرجع سابق ، ص 231 .

نلاحظ من خلال الجدول التزايد الكبير في عدد المجندين بين سنتي (1940-1943) حتى أن الإحصائيات المقدمة لم تكن بأرقام محددة ، و هو ما يشير إلى العدد الكبير للمجندين و السبب يرجع إلى أن الحرب كانت في مرحلة الذروة سواءا في شمال إفريقيا أو أوروبا .فشمال إفريقيا شهدت معارك شرسة بين الحلفاء و المحور ، أهمها معركة إعادة السيطرة على تونس بعد أن وقعت تحت نفوذ المحور، بعدها انتقلت المعارك لأوروبا ، اين سخر الحلفاء المجندين من المستعمرات الفرنسية عامة و التونسيين على وجه الخصوص لتحرير أوروبا من قوات المحور و اختلفت الدوافع التي جعلت الشباب التونسي ينخرط في الجيش الفرنسي .[26]

فقد اعتبر بعض التونسيون الجيش الجهاز الذي سيجسدون من خلاله أحلامهم في الترقية إلى أعلى المناصب.[27] ومهما يكن من أمر فإن الهروب من الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي رسخته فرنسا بسبب نظام الحماية وتعسف القياد والسياسة الاستعمارية التي ارتكزت على نهب الأراضي ومنحها للمستوطنين، تعتبر الدافع الأساسي وراء انخراط وتطوع التونسيين في الجيش الفرنسي.

نستنتج مما سبق أن الشاب التونسي وجد في الجيش الفرنسي ملجأ لضمان عيشه، مما جعله يدخل في شكل من أشكال العبودية الإرادية بسبب انسداد جميع الطرق أمامه ،. فشكل ذلك أمرا إيجابيا لفرنسا بشكل عام، وتبين ذلك من خلال الرسال التي كان يوجهها المجندون التونسيون لعائلاتهم ، التي مكنت الباحثين من تحديد مواقفهم تجاه المؤسسة العسكرية ، و طرحت مشاكلهم اليومية و بينت مدى ولائهم لنظام الحماية .[28]

ففي رسالة أحد التونسيين من الفوج الرابع (للتيرايور)، يقول : "... و عند وصولي إلى المستشفى استقبلني المكلفون ، كقبول عائلة لابنها ، فألبسوني ثياب ناعمة ، نقية و غسلوا بدني و ضمدوا جراحي بلطف ، لم نرى مثله مدة حياتي ، فان هؤلاء النسوة المحسنات هن أشبه بالملائكة ، فقد كن سببا في اطلاعي جيدا على كونه الروح الفرنساوي و معرفة ما فيه من المحاسن و اللطف . على أن إقامتي هنا قد زادتني محبة للوطن الفرنساوي العظيم .... وسأقاتل في سبيل هذا الوطن مثل وطني إلى آخر قطرة من دمي لطرد الألمان الملاعين ...".

ما يمكن استنتاجه من خلال هذه الرسالة، إن اعجاب المجند لفرنسا بالمعاملة التي تلقاها في المشفى و تغنيه بحب الوطن الفرنسي، لم يمنعه من الفصل بينه و بين الوطن الأصلي . لكن مهم يكن فإن المعاملة التي تلقاها المجند حسنت من نظرته لفرنسا ومؤسساتها. فيمكن القول أن طريقة التعامل تندرج ضمن الدعاية المضادة الفرنسية [29] ، التي اعتمدت عليها لجذب أكبر عدد من الشباب التونسي للتجنيد ، وذلك من خلال ترسيخ صورة مغايرة في تعامل فرنسا مع المجندين التونسيين عكس ما تظهره الدعاية الألمانية .[30]

و مع نزول قوات الحلفاء في كل من الجزائر و المغرب في 8 نوفمبر 1942 ، شعرت حكومة بيتان بالخطر الذي أصبح بالمستعمرة المتبقية في شمال إفريقيا (تونس) فشهدت نزول وحدات عسكرية ألمانية في مطار العوينات بتاريخ 9 نوفمبر 1942 ، و كونت الجيش المدرع الخامس في الجهة الجنوبية الشرقية ، بالتعاون مع الجنود الفرنسيين التابعين لحكومة فيشي ، علما أن التونسيين قد سمعوا سابقا بتقهقر الجيش الفرنسي أمام التقدم الألماني فسقطت باريس في 10 جوان 1940 ، و كيف أصبح ثلاثة أرباع الأراضي التونسية تحت السيطرة الألمانية ، وتعاطف الكثير من التونسيين مع ألمانيا ، و أصبحوا يرون خلاص تونس من الاستعمار سيكون بانتصار هتلر.

لذلك لقيت القوات الألمانية ترحابا في جميع المناطق التي حلت بها ، ووجدت شعبا مندفعا لمساعدتها تطبيقا لمقولة عدو عدوي صديقي ، فقد جاء في شهادة أبو القاسم محمد كرو ما يلي: " ... دخلت القوات الألمانية قفصة و قدم لنا صور ربما أنها كانت معبرة ، لأنها كانت متكررة في العديد من المدن و القرى التونسية . كنت من المستقبلين

للمظليين الألمان عند وصولهم مدخل المدينة، ورحب بهم يوم 13 نوفمبر 1942. و قد اندفع بحماس المراهقون لقيادة أولئك الجنود نحو المراقبة المدنية الفرنسية...."

ما يمكن استنتاجه من خلال شهادة أبو القاسم محمد هو أنه رغم الدعاية التي وجهتها فرنسا لتغيير رأي التونسيين تجاهها، لم تنجح فكرة التونسيين الشديد لفرنسا كان كبيرا بسبب سياستها الاستعمارية السابقة وهوما تظهره طريقة استقبالهم للألمان، فكثر التونسيين المتطوعين عند الألمان كمخبرين وجواسيس من خلال تحديد تحركات الفرنسيين و اليهود المساندين للحلفاء، و أبدى العديد من التونسيين رغبتهم التطوع ضمن الفيالق التونسية حسب التقارير الرسمية الفرنسية.[31]

ففي محضر جلسة بتاريخ 26 ماي 1943 أكد إلى ارتداء أعداد كبيرة من جنود الاحتياط للبدلات العسكرية الألمانية، بعد فرارهم من استدعاء شيخ (قضاعة) بقيادة باجة .[32] هذا و قام مخازنية مركز فورسات (Fort-Saint) بمنطقة الجنوب العسكري بالفرار جماعيا مع أسلحتهم ، فعمل البعض منهم مع الإيطاليين من خلال إرشادهم عند مهاجمتها مركز المنطقة في 28 ديسمبر 1942 . و تطوع البعض الآخر مع الألمان منهم 15 مجندا عملوا كحراس في جبل بسالم لمراقبة تقدم الإنجليز. كما أظهرت تقارير فرنسية أخرى إلى الرغبة الكبيرة من قبل سكان منطقة التراب العسكري (جهة نفرازة و دوز خاصة) في مساندة الألمان،[33] فقد أشار تقرير قاي (Gay) رئيس كتيبة قبلي دوز بتاريخ 10 أفريل 1943 إلى انخراط العديد من الأهالي في و حدات المهاري الألمانية .[34]

شكلت السياسة الفرنسية المتبعة سابقا في تونس حافزا لمساندتهم لقوات المحور، وراهنوا على قدرتهم في تحرير تونس، فقد شكل الألمان عدة وحدات عسكرية انضم لها التونسيين كالوحدة المحررة (L'unité Libératrice) التي مقرها في (بوفيشة) أين شيدت أكبر المخيمات للتدريب . و شكل الألمان فرق عسكرية المانية عربية لها عدة فروع منها فرع التدريب العربي الألماني الذي ضم 800 جندي عربي .[35]

في نفس الفترة تشكلت الكتيبة الإفريقية (Africaine phalange) التي ضمت عناصر متطوعة من الفرنسيين و المغاربة ، وجهت أعمالها ضد القوات العسكرية الفرنسية ، و الأنجلو-سكسونية المتمركزة بتونس . فمن مجموع 405 جندي بالكتيبة نجد 277 متطوع تونسي. وقد شاركت الكتيبة في العديد من المعارك ضد الحلفاء، وبغرض استقطاب أكبر عدد من المتطوعين التونسيين تفرع منها كتيبة تونسية (مارس 1943) و أخرى جزائرية وضمن في مجملها مساجين الحرب بالأساس .

ففي رسالة وجهها الشيخ شكيب أرسلان إلى الحبيب بورقيبة بتاريخ 21 فيفري 1943 اثناء تواجده في روما، وبعد التذكير بالتضييق الذي تعرضت له المناضلون التونسيون من الحزب الدستوري منذ 1938 وسجن الآلاف من رجالها، وجاء في الرسالة ما يلي : (... لا يخفى حشد العدو في تونس 500 ألف جندي هذا باعتراف تشرشيل نفسه و اظنه لم يدخل في هذا العدد الجيش البريطاني القادم من طرابلس و الذي لا يقل عن 130 ألف جندي كما أن الفرنسيين ماضون في تجنيد عشرات الألوف من أهالي الجزائر و المغرب الأقصى فالقوة التي تقابل جيوش المحور هي عظيمة ....وكلما طال حسن الدفاع عن تونس و ظهر عجز العدو عن اخراج المحوريين و انضمت الى جيوشه ألوف من المقاتلين لا من التونس وحدها بل من الجزائريين و قد نشرت الصحف عن دخول 50 ألف من الجزائريين لتونس منظمين لجيوش المحور ....ونظرا لكون الجنرال جيروا و المسيو بيروتون صديق تونس و صديق الإسلام ..... مجتهدان في تجنيد عشرات الآلاف من المسلمين دفاعا عن فرنسا ...) .[36]

من خلال الرسالة يتبين لنا مدى مساهمة المجندين من شمال افريقيا في الحرب الدائرة بشمال افريقيا ، و افصاح الشيخ شكيب أرسلان عن اعداد المتطوعين من شمال افريقيا يدل على درجة التأثير الذي شكلته دعاية المحور على الشباب المسلم ، و مهما يكن من أمر فإن تعاطف التونسيين مع قوات المحور (الإيطاليين[37] – الألمان) ،

خاصة الألمان يفسر عدم ارتقاء العمل السياسي الوطني إلى مرحلة يمكن من إيجاد بديل للوضع الراهن الذي تعيشه البلاد التونسية . فقد ظل هتلر في نظرهم ذلك المخلص من الهيمنة الفرنسية، ويقودنا ذلك إلى عدم اقتناع الفئات الشعبية التونسية بفعالية العمل السياسي الحزبي، و أصبحت القوة العسكرية في المنظور الشعبي هي المحدد للمنتصر والمنهزم. و رأى بعض الداعمين للألمان أن تجندهم في صفوف الجيش الألماني ليست ولاء لهم بل ردة فعل ضد ممارسات السلطات الاستعمارية الفرنسية .[38]

في الأخير يمكن القول أن عملية التجنيد في تونس عرفت تباينا في المواقف داخل المجتمع التونسي بين المؤيد لفرنسا و المساند لها، و بين الداعم لقوات المحور (إيطاليا – ألمانيا) خاصة الألمان ، فقد اعتبرت بعض الفئات التونسية دول المحور خطرا على البلاد و ساندت فرنسا في حربها ضد الألمان من خلال التجنيد في صفوف جيشها كمتطوعين و تجند البعض الآخر رغبة في تحسين أوضاعه الاقتصادية و الاجتماعية . أما الفئات الشعبية المحرومة في زمن السيطرة الفرنسية اعتبروا الوجود الألماني مخرجا من الحالة المزرية و فرصة للانتقام من مستغليهم، خاصة جماعة القياد و المشايخ التي تسير في ركب الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

2. مساهمة تجنيد التونسيين في نشر الوعي الوطني

تشكل عند التونسيين موقفين متباينين من التجنيد المؤيدين والمعارضين ، فالجانب المؤيد ضم في معظمه التونسيين الذين كانوا منتفعين في مراحل سابقة من السياسة الفرنسية و الذين لم يكن لهم خيار سوى التأكيد على مساندة فرنسا في حربها مهم كانت العواقب ، إضافة للطبقات الكادحة التي عاشت ظروف معيشية صعبة و اعتبرت عملية التجنيد طريق الخلاص من الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية المزرية ، أما الجانب المعارض فتكون من بعض الطبقات السياسية و المثقفة التي اعتبرت الحرب أمرا لا يعنيهم و لم تكن تريد أن يصبح التونسيون وقودا لها ، و كانت تظهر الردود الرافضة من خلال الفرار من الخدمة أو الاستسلام للألمان و الإيطاليين في جبهات القتال .[39]

ما يبرهن على الموقف المتباين للتونسيين من السياسة الفرنسية تضارب الآراء حول الزيارة التي قام بها الرئيس الفرنسي إيدوارد دالاديه (Eduard Daladier) لتونس في جانفي 1939 ، بين المثمن لها و الغير مبال فقد رأى فيها البعض مجرد زيارة لم تأتي بالجديد لتونس ، بل كانت لحماية نفوذ الإمبراطورية الفرنسية من الخطر الفاشي ، و يؤكد الحبيب ثامر في كتابه (هذه تونس) على اغتنام الشعب التونسي لفرصة الزيارة ليبين أنه غير راض على تصرفات فرنسا ضد بلاده من خلال مظاهرات في كل من (بنزرت ، باردو ، تونس، صفاقس) و في كل مكان حل به ، واجهتها سلطات الحماية باعتقال المئات من الوطنيين وحكمت عليهم أحكاما قاسية .[40]

أما موقف الحركة الوطنية فقد كان رافضا للتجنيد عموما خاصة بعد الأحداث التي عرفتها تونس في 8 أفريل 1938، و ما تبعتها من اعتقالات لزعماء ومناضلي الحركة الوطنية حيث ذكر الحبيب قرار في كتابه (تحيا تونس) : " في الساعة الرابعة من صباح 10 أفريل 1938 اقتحمت الشرطة الفرنسية بيوت الزعماء و بعض المناضلين و جمعتهم في ساحة باب سويقة ثم زج بهم في السجن المدني بتونس ، ثم نقلوا للسجن العسكري و كان من بينهم الحبيب بورقيبة و المنجى سليم و شقيقة الهادي و الزعيم الحبيب بورقيبة ...."[41].

و قد تلت عمليات اعتقال الزعماء إعادة المناضلين الدستوريين تنظيم حركة الكفاح و أستأنف نشاطهم بإصدار المناشير و توزيعها على السكان، و تكوين مجموعات أسندت لها مهمة قطع اسلاك الهاتف و الكهرباء و إعداد المتفجرات ضد العديد من المناضلين[42]، استمرت الأوضاع على هذا الحال إلى غاية سيطرة الألمان على تونس .

من خلال معالجة أوضاع مناضلي و قادة الحركة الوطنية التونسية نستنتج أن واقع العلاقة التي تربطها بإدارة الحماية الفرنسية والتي لم تكن تظهر تفاهما و هو ما سينعكس على موقف قادة الحزب الدستوري الجديد من

عملية تجنيد التونسيين في الجيش الفرنسي، الذي اعتبرته تسخيرا لموارد تونس البشرية لخدمة مصالحها الاستعمارية ، خاصة و أن مواقف إدارة الحماية لم تكن بذلك اللين تجاه قادة و مناضلي تونس .[43]

عملت الدعاية الحزبية الدستورية على تشويه صورة الجيش الفرنسي، و عرفت هذه الفترة اختلاطا بين السياسيين المشرفين على الدعاية و المجندين التونسيين المسرحين، وكمثال عن تجاوب بعض المجندين التونسيين ضبط الشرطة الفرنسية للمجند محمد بن خليفة بن مبارك و بحوزته مجموعة من المناشير الداعية للعصيان ، وتبين علاقتهم بالحزب الدستوري الجديد .

كما عرف الجيش الفرنسي حالة من العصيان مثل ما حدث بالقيروان في 26 سبتمبر 1939، إذ تمكن عدد من الجنود من الفرار (150 جندي) ودخول المدينة ومهاجمة سجن المدينة (قرب باب الجلادين) وأطلقوا كل المساجين. و أحداث دقاش (نوفمبر 1940) التي تمثلت في رفض الأهالي حضور العساكر السنغاليين بقيتهم بمساندة بعض المجندين التونسيين، وقد أرجعت السلطات أسباب التمرد إلى تسرب الدعاية الدستورية وسط المجندين، حيث لوحظ اختلاط الجنود المسرحين برخص ظرفية ببعض العناصر الوطنية الذين يقومون بدعاية مناهضة للجيش الفرنسي، و لمشاركة التونسيين في الحرب لجانبها ، وهو ما يفسره الأنشطة المناهضة للجيش الفرنسي التي عرفتها تونس، التي واكبت عودة العديد من المجندين من الجبهات و احتكاكهم بالنخب الوطنية الداعية لمقاطعة الخدمة العسكرية.[44]

و يذكر الجنرال باري (Barré) أن الدعاية التي عمل عليها الدستوريين ساهمت في زيادة ظاهرة العصيان و الفرار عند المجندين خاصة خلال الحرب العالمية الثانية ، لكن أغلب المجندين التونسيين الذي كانوا في جبهات مشتعلة غابت عنهم فرص الفرار ، فقد ورد في رسائل عديدة تداولتها عائلات المجندين دلائل تبين مدي نفور التونسيين من التجنيد ، ففي رسالة بعث بها الجندي عمار عزوز إلى عمه (نابل) جاء فيها : " ... لقد تأسفت عند سماعي بتجنيد ابنك حسن .... و بما أنك رب عائلة متعددة الأفراد و رجل طاعن في السجن ...(أنصحك) بتقديم شكوى إلى المراقب المدني و حتى تكون هذه الشكوى ذات اعتبار اترك شعرك يطول و ارتدي لباسا وسخا واحرص أن يكون مظهرك يرثى له عند مقابلته..." .

من خلال الرسالة يتضح لنا أن ولاء التونسيين للجيش كان شكليا، وهوما يفند ما روجت له الإدارة الفرنسية من اعتباره طريقة لتحقيق الأحلام من خلال الرقي وكسب الوظائف و تحسين الظروف المعيشية للتونسيين. فقد ورد في رسالة لأحد المجندين التيرايور (أحمد بن قدور) من زاوية سيدي عبد القادر بالكاف إلى أحد الأولياء سيدي عبد القادر الجيلاني مصحوبة بحوالة بريدية قيمتها 76 فرنك يطلب منه التدخل ليخلصه من الخدمة العسكرية و هناك أمثلة كثيرة تبين مدي فشل إدارة الحماية في ترسيخ ولاء المجندين .[45]

اعتمدت النخبة السياسية التونسية على تحريض التونسيين على عدم الالتحاق بالتجنيد أثناء التعبئة مثال إشراف سيدي صخري رئيس شعبة سوق الأربعاء على اجتماع بواد مليز في 27 مارس1938، ركز فيها على دراسة طريقة لتحريض السكان على العصيان المدني و الامتناع عن التجنيد في الجيش الفرنسي .[46] وهو ما يؤكد رفض الدستوريين لدعم المجهود الحربي خاصة بعد هزيمة فرنسا أمام الألمان و تغير صورة الجيش الفرنسي الذي لم يعد يمثل مصدر قوة. كما سعى الوطنيون التونسيون لتوظيف المجندين لإثارة البلبلة وسط صفوف الجيش الفرنسي و داخل الثكنات، و ذلك للضغط على سلطات الحماية لإطلاق المعتقلين السياسيين و ما يؤكد ذلك أحد المناشير التي وزعت على المجندين التونسيين : " ... نحن الجنود التونسيون ... لا تعنينا إطلاقا السلطة التي نخضع إليها سواءا كانت مدنية أو عسكرية ... إن اعتقال الزعماء السياسيين لن يزيدنا إلا كراهية لفرنسا ... لا يمكن إطلاق التعويل على الجنود التونسيين ما لم تلبى مطالبهم الوطنية ...."."[47]

من خلال دراسة معمقة لمحتوى المنشور يتضح لنا مدي تأثير الدعاية الدستورية[48] على المجندين التونسيين، فكان لها الدور الكبير في خلق فئة من المجندين مشبعة بالروح الوطنية و الوعي السياسي، كما ساهم اختلاط الجنود التونسيين بالمجندين من المستعمرات الفرنسية في جبهات القتال المختلفة بأوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية في ظهور وعي سياسي بضرورة النضال من أجل تحرير بلدانهم، وذلك لما وجدوه من تمييز بينهم و بين الجنود الفرنسيين .

ردت سلطات الحماية منذ بداية الحرب العالمية الثانية بمجموعة إجراءات منها سن مجموعة قوانين[49] تمنع المجندين وأهاليهم من الاطلاع على مناشير دعائية دستورية أو أجنبية وتوزيعها، و حظر على الصحافة الوطنية كتابة المقالات المناهضة للوجود العسكري الفرنسي، و منعت الدستوريين من عقد اجتماعات دعائية لما له من تأثير على المجندين و التحريض على العصيان و التمرد.

لكن هذه الإجراءات التي اتخذتها سلطات الحماية لم يكن لها فعالية، لأن تواصل العناصر الدستورية بالمجندين المسرحين ظرفيا لم ينقطع و استمرت حملاتهم الدعائية وسط المجندين و مثال ذلك اللقاءات التي كانت تجرى بالمجندين التونسيين في مقهى (الأخلفي) بنهج الحلفاوين لتوعيتهم و دعوتهم لنشر الدعاية الدستورية وسط المجندين لخلق وعي وطني يجعل التونسيين المشاركين في حروب فرنسا أكثر وعيا .[50]

ختاما يمكن القول أن مساهمة التونسيين في الحرب العالمية الثانية ، كان لها دور كبير في خلق مجموعة من المناضلين الوطنيين المناهضين لسلطات الحماية الفرنسية ، شكلت خلالها دعاية الحزب الدستوري الجديد و تواصل المجندين مع الجنود من المستعمرات الفرنسية أهمية كبيرة في توعيتهم بدورهم الوطني و توضيح الدافع الفرنسي من تجنيدهم ، فشكلت بذلك نواة لظهور وعي داخل المجندين التونسيين سيكون لهم دور في النضال الوطني مستقبلا ، توضحت ملامحه من خلال عمليات الفرار و التمرد داخل الفرق التونسية المسخرة لخدمة الجيش الفرنسي .

خاتمة:

من خلال ما ذكرنا سابقا حول مشاركة شباب التونسي في الحرب العالمية الثانية و تأثير مساهمته في نشر الوعي الوطني نستنتج ما يلي :

-أن مشاركة التونسيين في الحرب العالمية الثانية كمجندين ساهم في تبلور وعي وطني في صفوفهم من خلال ملاحظة التمييز بينهم و بين الجنود الفرنسيين .

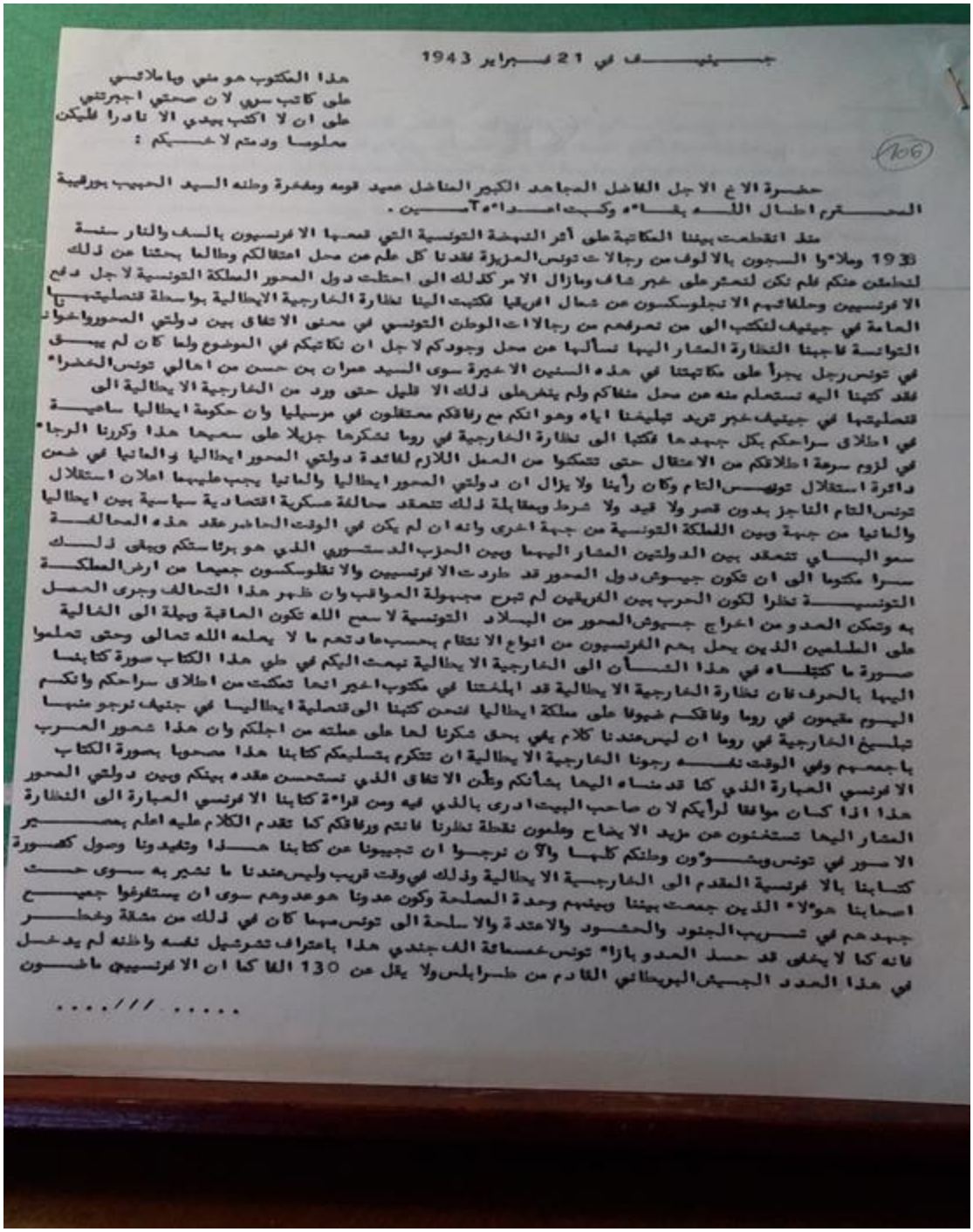
- من خلال نشاط مناضلي الحزب الدستوري التونسي وسط المجندين تشكلت دعاية ساهمت في بروز مجموعات وطنية وسط المجندين.

- كان للمناضلين المجندين في الجيش الفرنسي مساهمة فعالة في التواصل مع الجنود التونسيين و المغاربة فحدث نقاش أفرز عن أفكار وطنية أكدت على دور فرنسا التخريبي في الأقطار المغاربية، خاصة بعد أن أصبحت الحركات الوطنية المغاربية بعد الحرب العالمية الثانية ما يجمعها أكثر مما يفرقها.

- تأكدت طروحات الحركة الوطنية التونسية بعد رفض مطالبها الشرعية من طرف قوات الحلفاء و سلطات الاحتلال الفرنسي.

وعموما كان للحرب العالمية الثانية التأثير المباشر على التونسيين المجندين في الجيش الفرنسي، فقد ساهم التواصل الذي جمع بين التونسيين و المجندين من مختلف المستعمرات الفرنسية في تبادل أفكار سيكون لها دور كبير في بلورة روح جديدة للنضال الوطني، خاصة بعد التواصل الذي مكن التونسيين من معرفة ما يحدث في العالم.

الملاحق رقم 01: رسالة من الشيخ شكيب أرسلان إلى المجاهد الحبيب بورقيبة



جنيف في 21 فبراير 1943

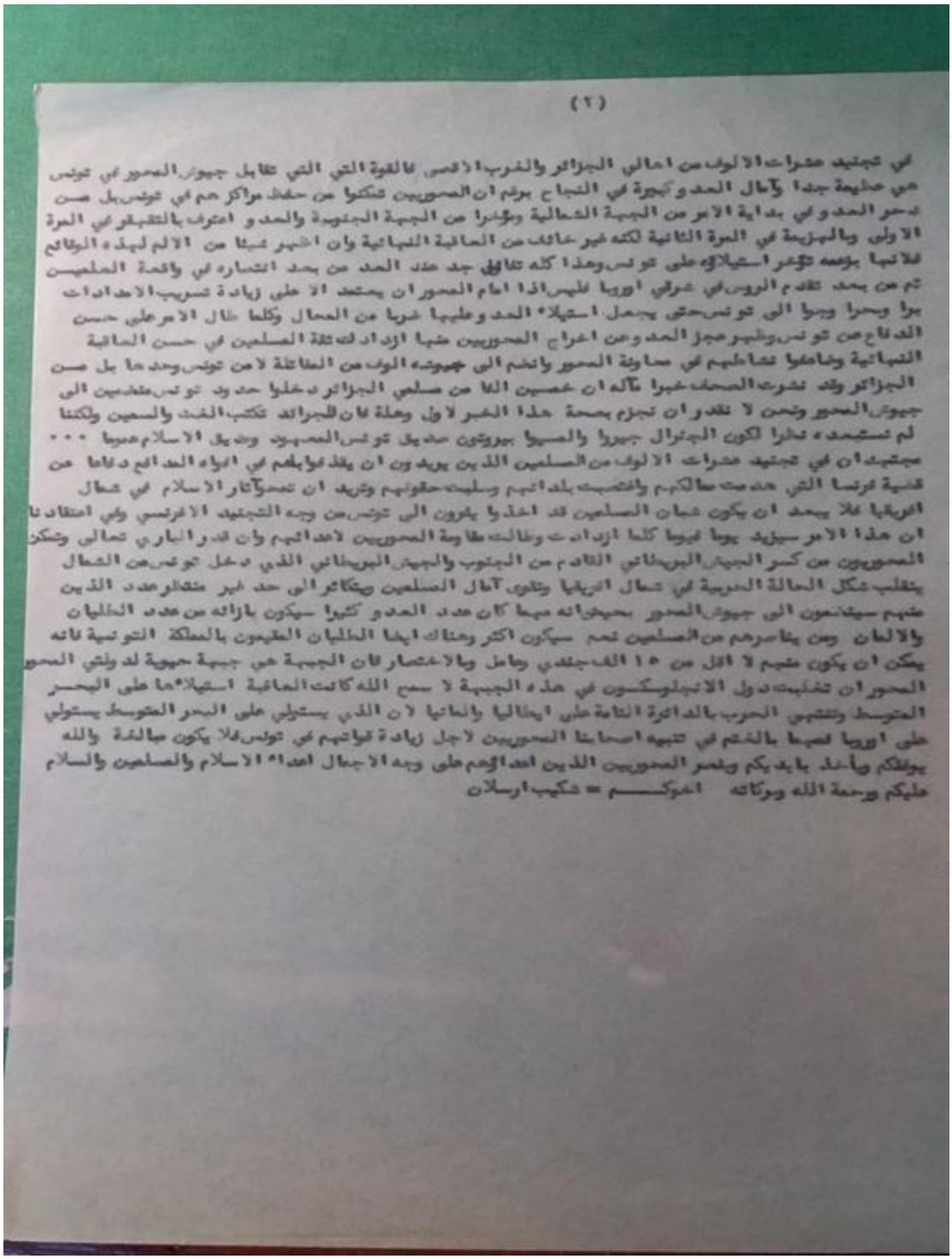
هذا المكتوب هو مني وبإملائي
على كاتب سري لان صحتي اجبرتني
على ان لا اكتب بيدي الا نادرا فليكن
معلوما ودمتم لاخيكم :

(106)

حضرة الاغ الاجل الفاضل المجاهد الكبير المناضل عميد قومه ومفخرة وطنه السيد الحبيب بورقيبة المحترم اطال الله بقاءه وكبت اعداءه آمين .

منذ انقطعت بيننا المكاتبة على أثر النهضة التونسية التي قمعها الافرنسيون بالسيف والنار سنة 1938 وملأوا السجون بالالوف من رجالات تونس العزيزة فقدنا كل علم من محل اعتقالكم وطالما بحثنا عن ذلك لنطمئن عنكم فلم نكن لنعثر على خبر شاف ومازال الامر كذلك الى احتلت دول المحور المملكة التونسية لاجل دفع الافرنسيين وحلفائهم الانجلوسكسون من شمال افريقيا فكتبت الينا نظارة الخارجية الايطالية بواسطة قنصليتها العامة في جنيف لنكتب الى من نعرفهم من رجالات الوطن التونسي في معنى الاتفاق بين دولتي المحور واخواتها التوانسة فاجبنا النظارة المشار اليها نسألها عن محل وجودكم لاجل ان نكاتبكم في الموضوع ولما كان لم يبق في تونس رجل يجرأ على مكاتبتنا في هذه السنين الاخيرة سوى السيد عمران بن حسن من اهالي تونس الخضراء فقد كتبنا اليه نستعلم منه عن محل منفاكم ولم يخف على ذلك الا قليل حتى ورد من الخارجية الايطالية الى قنصليتها في جنيف خبر تريد تبليغنا اياه وهو انكم مع رفاقكم معتقلون في مرسيليا وان حكومة ايطاليا ساعية في اطلاق سراحكم بكل جهدها فكتبنا الى نظارة الخارجية في روما نشكرها جزيلا على سعيها هذا وكررنا الرجاء في لزوم سرعة اطلاقكم من الاعتقال حتى تتمكنوا من العمل اللازم لفائدة دولتي المحور ايطاليا والمانيا في ضمن دائرة استقلال تونس التام وكان رأينا ولا يزال ان دولتي المحور ايطاليا والمانيا يجب عليهما اعلان استقلال تونس التام الناجز بدون قصر ولا قيد ولا شرط وبمقابلة ذلك تنعقد محالفة عسكرية اقتصادية سياسية بين ايطاليا والمانيا من جهة وبين المملكة التونسية من جهة اخرى وانه ان لم يكن في الوقت الحاضر عقد هذه المحالفة سوا الباي تنعقد بين الدولتين المشار اليهما وبين الحزب الدستوري الذي هو برئاستكم ويبقى ذلك سرا مكتوما الى ان تكون جيوش دول المحور قد طردت الافرنسيين والانجلوسكسون جميعا من ارض المملكة التونسية نظرا لكون الحرب بين الفريقين لم تبرح مجهولة العواقب وان ظهر هذا التحالف وجرى العمل به وتمكن العدو من اخراج جيوش المحور من البلاد التونسية لا سمح الله تكون العاقبة وبيلة الى الغالبة على المسلمين الذين يحل بهم الفرنسيون من انواع الانتقام بحسب عادتهم ما لا يعلمه الله تعالى وحتى تعلموا صورة ما كتبناه في هذا الشأن الى الخارجية الايطالية نبعث اليكم في طي هذا الكتاب صورة كتابنا اليها بالحرف فان نظارة الخارجية الايطالية قد ابلغتنا في مكتوب اخير انها تمكنت من اطلاق سراحكم وانكم اليوم مقيمون في روما ورفاقكم ضيوفا على مملكة ايطاليا فنحن كتبنا الى قنصلية ايطاليا في جنيف نرجو منها تبليغ الخارجية في روما ان ليس عندنا كلام يفي بحق شكرنا لها على عملته من اجلكم وان هذا شعور العرب باجمعهم وفي الوقت نفسه رجونا الخارجية الايطالية ان تتكرم بتسليمكم كتابنا هذا ممحوا بصورة الكتاب الافرنسي العبارة الذي كنا قدمناه اليها بشأنكم وظن الاتفاق الذي تستحسن عقده بينكم وبين دولتي المحور هذا اذا كان موافقا لرأيكم لان صاحب البيت ادرى بالذي فيه ومن قراءة كتابنا الافرنسي العبارة الى النظارة المشار اليها تستغنون عن مزيد الايضاح وتطمئن نقطة نظرنا فانتم ورفاقكم كما تقدم الكلام عليه اعلم بمصير الامور في تونس ويشؤون وطنكم كلها والآن نرجوا ان تجيبونا عن كتابنا هذا وتفيدونا وصول كصورة كتابنا بالافرنسية المقدم الى الخارجية الايطالية وذلك في وقت قريب وليس عندنا ما نشير به سوى حث اصحابنا هؤلاء الذين جمعت بيننا وبينهم وحدة المصلحة وكون عدونا هو عدوهم سوى ان يستفرغوا جميع جهدهم في تسريب الجنود والحشود والاعتدة والاسلحة الى تونس مهما كان في ذلك من مشقة وخطر فانه كما لا يخفى قد حسد العدو بازاء تونس خصوصا الفيلق الجندي هذا باعتراف تشرشيل نفسه واظنه لم يدخل في هذا العدد الجيش البريطاني القادم من طرابلس ولا يقل عن 130 الفا كما ان الافرنسيين ماخوذون

...///...



(٢)

في تجنيد عشرات الالوف من اهالي الجزائر والمغرب الاقصى لمقاومة التي تقابل جيوش المحور في تونس هي حليفة جدا وآمال العدو كبيرة في النجاح برغم ان المحوريين تمكنوا من حفظ مراكزهم في تونس بل ص نحو العدو في بداية الامر من الجبهة الشمالية وقهرا من الجبهة الجنوبية والعدو اعترف بالتقهقر في المرة الاولى وبالهزيمة في المرة الثانية لكنه غير خائف من العاقبة النهائية وان اظهر شيئا من الالم لبدء الوقائع فلانها بؤسه تؤخر استيلاؤه على تونس وهذا كله تفاؤل جد عند العدو من بعد انتشاره في واقعة العلمين ثم من بعد تقدم الروس في شرقي اوربا فليس اذا امام المحور ان يعتمد الا على زيادة تسريب الامدادات برا وبحرا وجوا الى تونس حتى يجعل استيلاء العدو عليها غربا من المحال وكلما طال الامر على حسن الدفاع من تونس وظهر عجز العدو ومن اخراج المحوريين منها ازدادت ثقة المسلمين في حسن العاقبة النهائية وشاعفوا نشاطهم في معاونة المحور وانضم الى جيوشه الوف من الطائفة لا من تونس وحدها بل من الجزائر وقد نشرت الصحف خبرا مآله ان خمسين الفا من مسلمي الجزائر دخلوا حدود تونس منضمين الى جيوش المحور ونحن لا نقدر ان نجزم بصحة هذا الخبر لاول وهلة فان للجرائد تكتب الغث والسمين ولكننا لم نستبعده نظرا لكون الجنرال جيرو والسيد بيروتون صديق تونس المعهود وصديق الاسلام عموما ... مجتهدان في تجنيد عشرات الالوف من المسلمين الذين يريدون ان يقفوا بانفسهم في افواه المدافع دفاعا عن قضية فرنسا التي حدمت مطالبهم واغتصبت بلدانهم وسلبت حقوقهم ويريد ان تمحو آثار الاسلام في شمال افريقيا فلا يبعد ان يكون عمال المسلمين قد اخذوا يفرون الى تونس من وجه التجنيد الافرنسي وفي اعتقادنا ان هذا الامر سيزيد يوما فيوما كلما ازدادت وطأة المحوريين لاعدائهم وان قدر الباري تعالى وتكثر المحوريون من كسر الجيش البريطاني القادم من الجنوب والجيش البريطاني الذي دخل تونس من الشمال ينقلب شكل الحالة الدينية في شمال افريقيا وتنوي آمال المسلمين ويتكاثر الى حد غير منتظر عدد الذين منهم سيلتحقون الى جيوش المحور بحيث انه مهما كان عدد العدو كثيرا سيكون بازائه من عدد الطليان والالمان ومن يناصرهم من المسلمين نعم سيكون اكثر وهناك ايضا الطليان المقيمون بالمملكة التونسية فانه يمكن ان يكون منهم لا اقل من ١٥ الف جندي وعامل وبالاختصار فان الجبهة هي جبهة حيوية لدولتي المحور ان تغلبت دول الانجلوسكسون في هذه الجبهة لا سمح الله كانت العاقبة استيلاءها على البحر المتوسط وتنتهي الحرب بالدائرة التامة على ايطاليا والمانيا لان الذي يستولي على البحر المتوسط يستولي على اوربا فعسى بالغنم في تنبيه اصحابنا المحوريين لاجل زيادة قواتهم في تونس فلا يكون مبالغة والله يوفقكم وبأيديكم ونصر المحوريين الذين اعداؤهم هم وعبء الاجيال اعداء الاسلام والمسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اخوكـــــم = شكيب ارسلان

- A.N.T, M.N, C65,D1 ,lettre de Chakib Arslan a m. Habib Bourguiba, de 23/02/1943.

الهوامش:

[1] بنبلغيث الشيباني ، الجيش التونسي في عهد محمد الصديق باي (1859-1882) ، ط1 ، دار نهى ، صفاقس ، 2002 ، ص 81.

[2] فتحي العايدي ، الجيش الاستعماري و المجتمع المحلي بالبلاد التونسية (1911-1943) ، ط1 ، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 2011 ، ص ص 224-225.

[3] بنبلغيث الشيباني ، أضواء على التاريخ العسكري في تونس (1837-1917) ، ط1 ، دار نهى للطباعة ، صفاقس ، 2004 ، ص 160.

[4] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 229.

[5] نفسه ، ص 231.

[6] العجيلي التليلي ، أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني و أوضاع المحليين في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين ، المجلة التاريخية المغاربية ، ع 55 ، 1989 ، ص 146 .

[7] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 321.

[8] الزهراء 1914/08/17 .

[9] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 232.

[10] نفسه ، ص 248.

[11] نفسه، ص 231.

[12] ISHMN , SHAT , Bobine (s23) , Carton (C2N243), D2 , Document 309 , Répartition du recrutement préparé en L'Afrique du Nord , 07/03/1939.

[13] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 408.

[14] ضيف الله محمد ، التراب التونسي من الخضوع إلى الرفض مثال نفزاوة (1881-1956) ، المجلة التاريخية المغاربية ، ع79-80 ، 1995 ، 537.

[15] نفسه، 539.

[16] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 410.

[17] الهلالي عبدالحميد ، تاريخ جهة جندوبة (1981- 1956) علاقة الحركة الوطنية بالأرياف ، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، تونس ، 2000 /2001، ص ص 211-212.

[18] الزهراء 1938/04/07.

[19] الزهراء 1914/09/18

[20] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 384.

[21] Khaled Ahmed , Documents secrets du 2 em bureau Tunisie Maghreb sous la conjoncture de pré-guerre (1937-1940) , Ed STD , Tunis , 1983 , p p 557-558.

[22] وقد جسدت محطة راديو طرابلس التي تأسست في 1938/12/29 ذلك من خلال حصص إذاعية موجهة باللغة العربية والعامية، منتقدة للتجنيد الإجباري وإرغام الشباب التونسي على التطوع في الفيالق الموجهة نحو الجهات الأوربية، وحرضت على الجهاد والدفاع على الإسلام. و أشارت المحطة في حصص آخر موجهة للتونسيين أن هذه الحرب لا تعنيهم وعليهم بالانضمام لقوات المحور لتحقيق الحرية و الاستقلال . ينظر:فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص 418 .

[23] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص ص 150-151.

[24] نفسه ، ص 248.

[25] Hamed –Taouti M'Barka , Immigration Maghrébine et activités politiques en France de la 1ére G.M a la veille de fronts populaire, pub F.S.H.S, tunis , 1999 , p 27.

[26] من دوافع تطوع الشباب التونسي في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية البعد الاقتصادي، فكلما كان المردود الزراعي ضعيفا ارتفاع عدد البطالين، فزاد عدد المتطوعين الشباب التونسي بالجيش الفرنسي . هذا إلى جانب ارتباط تونس بالواقع الاستعماري وما انجر عنه من انعكاسات سلبية على حياة التونسيين الذين لم يجدوا من سبيل سوي الانخراط في الجيش لتحسين أوضاعهم. ينظر :فتحي العايدي ، مرجع سابق ، ص ص 231-232.

[27] الهلالي عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ص 236-237.

[28] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص ص 236-237.

[29] فرغم المجهود الحربي الذي قدمه التونسيون لم تقابله فرنسا بتنازلات لصالح التونسيين، رغم إعترافها بدور مستعمراتها في حروبها ، و قد تجلى من خلال الرأي العام الفرنسي الذي تشبث بالمستعمرات ، و إعترها عاملا من عوامل انتصاره الحلفاء و قد عبر وزير المستعمرات (روني بلافن) عن ذلك بقوله : " إن فرنسا واعية بأنه لا قيمة لها بدون الإمبراطورية " ينظر: نفسه ، ص 251.

[30] الزهراء 1940/09/23

[31] A.N.T, M.N, C3,D9 ,Rapport de police de Hammamet au commissaire principal chef de la 2eme région du 25/05/1943.

[32] A.N .T , M.N , C3 , D9 , P.V de gendarmerie du 26/05/1943.

[33]الأسعد الغرياني ، سياسة المحور و الحلفاء الدعائية تجاه البلاد التونسية (نوفمبر 1938 إلى حدود 1940) ، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة ، كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات ، جامعة منوبة ، تونس ، السنة الجامعية 2004-2005 ، ، ص ص 141-142.

[34] الأسعد الغرياني ، المرجع السابق ، ص ص 141-142.

[35] Chérif Faycal , La Tunisie dans la seconde guerre mondiale (impacts et attitudes avril 1938 – mai1943) , these de doctorat , université de paris (sorbonne) , 2001 , p p 354-357.

[36] للمزيد من التفاصيل ينظر: **(أنظر الملحق رقم 01)**

- A.N.T, M.N, C65,D1 ,lettre de Chakib Arslan a m. Habib Bourguiba, de 23/02/1943 .

[37] رغم مواقف الأهالي الإيجابية و تعاطفهم مع الألمان فذلك لا يخفي عدائهم للإيطاليين و ظهر ذلك من خلال المظاهر مثل الحوادث التي وقعت بين المرازيق و الجنود الإيطاليين في بداية 1943 بسبب اعمال النهب التي قام بها الإيطاليون و ترهيبهم للأهالي برفع السلاح بوجوههم ، و العداء التاريخي بين التونسيين و و الإيطاليين خاصة في صفوف اعمال ، و مما زاد في الكره موقف إيطالية الرافض لإستقلال تونس بحجة أن الوقت ليس مناسب لذلك . للمزيد ينظر: فتحي العايدي ، المرجع السابق ص ص 388-389.

[38] منصر عدنان ، حول مسألة تعاطف التونسيين مع المحور اثناء الحرب العالمية الثانية ، مجلة روافد_ ع 3 ، 1997 ، ص ص 93-94.

[39] الأسعد الغرياني ، المرجع السابق ، ص ص 7 -8 .

[40] الحبيب ثامر، هذه تونس, تقديم الرشيد ادريس ، مراجعة و تحقيق حمادي الساحلي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، 1988 ، ص 98.

[41]علي الزايدي ، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904- 1945) ، ط1 ، دار نهى ، صفاقس ، 2007، ص 491.

[42] كان من بين المناضلين بشير زرق العيون ، محمد بن عمارة ، عمر بن حميدة ، و ساهم المناضل حسين التريكي في إمدادهم بها . و قد ثم إكتشاف (لجنة المقاومة في جانفي 1940 بعد تدابير مراقبة من قبل المخابرات الفرنسية و قد علق المكلف بالشؤون الإسلامية قائلا : (لم تقتصر مصالح الشرطة في هذه الأيام الأواخر من شهر جانفي على التعرف على مرتكبي أعمال التخريب المقترفة في تونس و ضواحيها و إيقافهم ، و على الذين أحدثوا الإنفجار بسور القصبة بل على محرير البلاغات الموجهة لبرلين ...) للمزيد ينظر: علي الزايدي ، المرجع السابق ، ص 491.

[43] الحبيب قرار، تحيا تونس ، ط1 ، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع ، تونس ، د ت ، ص 33 .

[44] Driss Rachid , Reflet d'un combat , ISHMN , Tunis , 1996 , p74.

[45] فتحي العايدي ، المرجع السابق ، ص ص 346-347.

[46] La Dépêche Tunisienne 0704/1938.

[47] ISHMN, SHAT, série Protectorat tunisien, B(R105) , C (1717), D2 ,Rapport du chef d'intérêt de la sécurité au résident Tunis , 13/09/1939.

[48] أمام غياب الوطنيين في اثناء الحرب العالمية الثانية فمنهم من كان في السجون و البعض الأخر هاجر أغلبهم للنشاط في الخارج ركز الدستوريون نشاطهم على بعث الشعب في مختلف المدن و التركيز على العمل السري تجنبا للتصادم مع سلطات الحماية ، شكلت الخلايا الدستورية دورا في توعية المجندين من خلال المناشير أو المجندين الذين كانوا منخرطين في الجيش من خلال دورهم في نشر الوعي الوطني وسط المجندين . ينظر: رشيد إدريس ، مذكرات (في طريق الجمهورية) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، ص 68.

[49] من بين القوانين التي سنتها سلطات الحماية أمرية 3 أوت 1939 من خلال فرض عقوبات ضد المخالفين لنشر مناشير دعائية (السجن – فض غرامات مالية – النفي و الإبعاد) وصدر أمر 05 /1939/09 يمنع الإستماع لنشرات إذاعية من محطات أجنبية تضر بمسائل الدفاع الوطني و سلطت عقوبة غرامات (100 و 1000 فرنك) ضد المخالفين .و أمرية 15 /1939/09 نص على تحجير أي عمل إذاعي أجنبي في الأماكن العمومية . ينظر لكل من :

- الرائد الرسمي 1939/09/07.
- نفسه 1940/05/28.

[50] Driss Rachid , op-cit , p 484.